المفاوضات آتية رغم كل العقبات

محمود عبد المنعم مراد

أكتوبر

منذ أسبوعين ، كتبت في هذا الباب كلمة بعنوان « الموعد فات ولكن « القطار لم يفت » وكنت أقصد بالموعد ٢٩ مايو ، وأقصد بالقطار المنتظر ، إجراء المفاوضات الخاصة بالحكم الذاتي .

وفي خلال تلك الفترة وقعت أحداث مؤسفة مثيرة ، كالاعتداء الآثم على عمدة الضفة الغربية . وأذيعت تصريحات تدعو الى مزيد من الأسف والإثارة ، من مناحم بيجين الذي لا يكف عن التصريح بأن القدس عاصمة موحدة لإسرائيل ، وأن الضفة الغربية وغزة أرض إسرائيلية محررة ، وليست أرضا عربية محتلة ، وأنه لا يأبه لأي قرار يتخذه مجلس الأمن ، وأنه لن ينفذه ، إلى آخر هذه التصريحات الكفيلة بتبديد الآمال ، وعرقلة الجهود المبذولة للوصول إلى اتفاق . ومع ذلك كله ، فما زلت أقول إن المفاوضات آتية ، ولابد من الوصول إلى حل .

وإذا كنا نلم للتفاصيل وزنا ، ونضرب في تيه التصريحات اليومية ، والعوامل المساعدة الثانوية ، فإن الصورة تبدو قاتمة مظلمة . والأمل يتبدد مع الريح . فالصحيح أن القضية الفلسطينية معقدة أشد التعقيد ، ولأحب أن التاريخ الحديث قد شهد لها مثيلا . ويبدو للعيان ، اختلاف وجهات النظر بين جميع الأطراف المعنية ، بل ان كل طرف من هذه الأطراف ، لايكاد يتبنى وجهة نظره واحدة ثابتة . فعلى الساحة الدولية ككل ، هناك خلاف بين القوتين العظميين ، وعلى صعيد الكتلة العربية التي تتحرك بديناميكية وفاعلية أكثر ، لارتباطها الأوثق بكل من العرب واسرائيل ، هناك خلاف في وجهة النظر بين أمريكا وحلفائها الغربيين . وبين الحلفاء الغربيين أنفسهم خلافات وانقسامات في الرأي ، يحاولون تصفيتها في فينسيا ، أوفي غيرها من المدن . وعلى الجانب الآخر ، نجد العالم العربي منقسما أشد الانقسام . والدول العربية موزعة النظرات في شتى الاتجاهات . فمنها من يرى الولايات المتحدة هي الكفيلة وحدها بحل المشكلة ، ومنها من يتبع تعليمات موسكو ، ومنها من يحاول الاستعانة بأوروبا الغربية ، ومنها من لايعرف كيف يولي وجهه ! حتى اسرائيل نفسها أصبحت تمزقها ، فثمة جماعات متطرفة تعيد الى الأذهان عصابات سنة ٤٨ ، تعمد الى السلب والقتل والارهاب . وتتمسك بالأرض ولو بالقوة . وفيها الجماعات معتدلة ، تريد الفوز بالسلام ، بأقل قدر من الخسائر . أو بأكبر قدر من المكاسب . وفيها اتجاهات تنادي علانية بوجوب تحقيق السلام الآن . بل تنادي بحق تقرير المصير لعرب فلسطين .

والمنظمة الفلسطينية ، شأنها شأن الوطن العربي ككل ، من حيث الانقسام والخلاف والتفكك ففيها ماركسيون متطرفون لايعطفون الا بلسان موسكو . وفيها بعثيون يتبعون سوريا . وبعثيون آخرون يتبعون العراق . وفيها معتدلون يقولون سرا ان مصر وأمريكا قد تحققان لهم شيئا . وبين هؤلاء وهؤلاء ، خلافات في الرأي ، وانقسامات في وجهات النظر . والفلسطينيون عامة ، ليست لهم مصالح موحدة ، ولاوجهة نظر واحدة . فلهم زعماء السياسة والكلام والتصريحات والخطب ، ولهم المنشغلون بالقضية الفلسطينية ، ولهم قوم يعيشون خارج الأرض المحتلة ، وآخرون يعيشون بداخلها . ولكل ظروفه وأوضاعه الاجتماعية والاقتصادية ، ومصالحه الخاصة التي تحدد وجهة نظره .

هذا هو الحال بتفصيلاته . ومع ذلك ، فاذا نحن ابتعدنا عن الصورة ، أو ارتفعنا عنها لننظر اليها من بعيد ، أو من عل ، وجدنا أن كل هذه التفاصيل أدعى الى وجوب البحث عن حل ، والوصول اليه . لا إلى التكوص والفشل . فاسرائيل لايمكن أن تعيش الى الأبد في ظل الظروف التي تعيش فيها الآن ، وتحت وطأة عداوة مائة مليون عربي يحيطون بها من كل جانب . والفلسطينيون لن يكفوا عن اثارة القضية . والعرب الأوروبي لايمكن أن يضع على نفسه فرصة التفوق من القوة العربية النفطية الشرائية ، التي تشترى بالبلايين أسلحة وبضائع استهلاكية . وتمد الغرب بالطاقة اللازمة . وأمريكا وروسيا لايمكن أن يتركا المنطقة لكل من جيب وذنب ، من أصحابها ، أو من غيرهم . وسيظل النزاع يمتد الى أن يعز الجميع على حل ، ترضى جميع الأطراف ، وتهدأ من جو التوتر المشحون بالمخاطر . ويقنع كل طرف بما يمكنه أن يفوز به . ومادامت المصلحة هي مفتاح السياسة ، فمصلحة الجميع ، كما هو واضح الآن ، أن تحل القضية لصالح الشعب الفلسطيني خاصة ، وللأمة العربية بوجه عام .

والمسألة مسألة وقت . ومن العرب نبدده ونوفر دمه ، بالفرقة والانقسام ، ويوضع الاعتبارات الشخصية ، فوق الاعتبارات القومية العامة . ولكننا حتما سنفيق . وسنعرف كيف نلعب دورنا في هذه المعركة الفرجاء التي يخوضها جميع الأطراف ، في ليل دامس الظلام . واذا كنا حتى الآن قد فعلنا كثيرا من الفرص ، وأغفلنا كثيرا من الحقائق ، وتصرفنا تصرف الشرقيين الذين كانوا يعيشون في القرون الوسطى ، فإن القطار لم يفت .

ودور مصر في كل هذا واضح صريح فعال . وسيحكم له التاريخ ، ولو بعد أجيال . ولاداعي للتشاؤم واحباط الهمم . فسوف تزول كل الشدائد ، وتتزاح عن الطريق جميع العقبات والألغام .

● : تمدوح حمزة : الاضطهاد السكاني ليس مشكلة صعبة في امريكا الآن

المشكلة الكبرى

تلك هي مشكلة الانفجار السكاني . الزيادة الرهيبة في عدد المواطنين المصريين كل عام . وكنت منذ بضعة أشهر قد كتبت في هذا الباب . كلمة خاطفة عبرت فيها عن رأي ما زلت أومن به . هو أن هذه الزيادة ليست خطرا داهما كما يدعي بعض ذوي الخيرة .

وقلت انه ما من انسان يولد ، يعجز عن تحصيل قوت يومه . وانه من الأفضل لمصر أن يكون تعداد سكانها ستين مليونا . بدلا من الأربعين الذين يعيشون على سطحها الآن . وقلت . فيما أذكر . انه لاشك توجد لدينا بطالة مقنعة . ولكنه لاتوجد بطالة ظاهرة . وضربت مثلا لذلك بأننا أصبحنا نستورد عددا كبيرا من العمال . وخاصة عمال البناء . من كوريا وغيرها . لتعويض ما ينقصنا من الأيدي العاملة

● بيكار : من أعمال المعرض الخاص

الى هاجرت الى الخارج . أو تحول أبناؤها الى طبقة اخرى . هى طبقة الحاصلين على الشهادات . الطامحين وراء مكانتهم . اذا وجدت لهم مكاتب .

ومنذ أيام . نشرت الاهرام مقالا للأستاذ الدكتور محمد صبور الأستاذ بطب عين شمس . قال فى عنوانه : زيادة السكان نعمة لا نقمة . وجرى لاشر . وقد قرأت المقال . كما قرأه مئات الألوف باهتمام شديد . ذلك أن هذا الرأى قلما يكتب عنه المفكرون والباحثون الخبراء . من وجهة النظر هذه . خشية الخروج على المألوف . أو تحرجا من مواجهة السياسة الرسمية للدولة .

وقد طغى أن مثل هذا الموضوع الخطير . ينبغى أن ينال مزيدا من الدراسة والتمحيص . وأن يقول كل امرئ قادر على القول كلمته .

وقد بادر الدكتور ممدوح جبر وزير الصحة بالرد على مقال الدكتور صبور . وكان رده مدعما بالأسانيد والحجج الموضوعية . ثم مالبث أن انضم اليه نقيب الأطباء الدكتور حمدى السيد . موافقا على رأى وزير الصحة . مضيفا اليه حججا جديدة .

والدكتور ممدوح جبر . والدكتور حمدى السيد . ومن قبلهم الدكتور محمد صبور . جميعهم أطباء . والمشكلة ليست بالدرجة الأولى مشكلة صحية . انما هى تحتاج الى آراء رجال التخطيط والاقتصاد والاجتماع وعلم السكان وتخطيط المدن . ومن قبلهم جميعا . رجال الدين . ولهذا فانه لما يثير اهتمام الجماهير . أن يشارك هؤلاء جميعا فى بحث المشكلة من جميع جوانبها . ولاأقول . قبل أن يتخذ قرار بشأنها . لأن هذه المشكلة لن يحلها أى قرار يتخذ ! ذلك أننا لو افترضنا أن الآراء قد اتفقت جميعها على أن زيادة السكان خطر يجب مواجهته . تظل هناك المسألة الخالدة . وماذا نفعل ؟ هل نكتفى بهذه الحملة الاعلامية التى لقيت من النقد والسخرية مالم تلقه أية حملة أخرى . وهى التى تبرزها الصحف والتليفزيون بعنوان : انظر حولك ؟ ! هل يمكن لمثل هذه الحملة أن تقنع الناس من كثرة التناسل . وسيهم أهل الريف . والأميون الذين لايقرأون . وهم الذين يمثلون الأغلبية الساحقة من بين القابلين على زيادة النسل . وترك الأمور على الله . يدبرها بحكمته ؟ أى قانون يمكن أن يصدر بتنظم الأسرة . وتحديد النسل ؟ أية حملة يمكن أن تقنع الفلاح المصرى بأن الأسرة الصغيرة العدد خير من الأسرة الكبيرة . وهم الذين يفاخر بعضهم بعضا بكثرة الأبناء . وعزة الانتماء الى العدد الكبير من أفراد العائلة ؟ ان هناك عقائد وقيما وعادات ينبغى علينا أولا أن نعمل لها حسابا .

ويالبت رجلا مثل الدكتور أحمد خليفة وزير الشئون الاجتماعية الأسبق . ورئيس المعهد القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية . يدلى برأيه فى هذا الموضوع الخطير . هو وغيره من الأساتذة المتخصصين . لأن الناس فى حاجة إلى حشد من العقول المفكرة فى مختلف الميادين . لتستطيع اقناع الجماهير بالحد من التناسل . أما الشعار الساذج القائل : انظر حولك . فكفاه مائق حتى الآن من نقد وتعليق ساخر !

الملايين بين يديك

والحديث موجه الى السيد جمال الناظر . وزير السياحة والطيران المدنى . أجل ! إن بين يديك يا سيدى الناظر . مئات الملايين من العملات الأجنبية . يمكن أن تضيفها إلى دخلنا القومى . أكثر بكثير . مما كان بين يديك حين كنت وزيرا للتعاون الاقتصادى ومسئولا عن الاستثمار العربى والأجنبى .

● د. جمال الناظر . خطوة سياحية سريعة .

وماعليك يا سيدى الوزير الا أن تولى وجهك شطر البحر الأحمر . ودعك الآن من الشاطئ الشمالى الغربى . فالسياحة فيه موقوفة فصل الصيف . وتظل شهور الشتاء وبعض الربيع والخريف معطلة . أما الشاطئ الشرقى للبحر الأحمر فيمكن أن يتحول الى منطقة سياحية عالمية . تزخر بآلاف السائحين على مدار السنة . ولقد بدأت تجربة صغيرة على هذا الشاطئ . بانشاء فندق وقرية سياحية صغيرة . وأثبتت التجربة نجاحا كبيرا . وماعلينا الآن الا أن نقتحم الميدان من أوسع أبوابه . وأن نخلق صناعة ضخمة متكاملة تتكلف مئات الملايين أو الآلافها . لتجنى منها مئات الملايين أو الآلافها أيضا . ولقد سمعت أن شركة سويدية ضخمة . متخصصة فى مجال الاستثمار السياحى . تعرض تنفيذ هذا المشروع . واستغلال الشاطئ بأكمله . ولاشك أن التمويل الداخلى محدود . والمشروعات الصغيرة المتعثرة . لاتحل المشكلة . ولكنها تزيدها تعقيدا . ولاشك أن مشروعا ضخما كبيرا . يتكفل بناء سلسلة من الفنادق والقرى السياحية . وبيبى لها مايلزمها من شواطئ للاستجمام . ومعدات للصيد . وساق الزوارق . وما الى ذلك من متع . وتضيف الى ذلك كله . انشاء طرق مرصوفة تربط الشاطئ بالصعيد . حيث يمكن للسائحين أن يخصصوا بضعة أيام لزيارة الآثار فى الأقصر وأسوان وغيرهما . والعودة الى شاطئ البحر بالسيارات . لاشك أن مشروعا كهذا كفيل بأن يجتذب مئات الألوف من السائحين الغربيين بقضاء فصل الشتاء على ساحل البحر . وليس ذلك تيسيرا الا على شاطئ البحر الأحمر .

ثم ان هناك آلافا من الأفكار الأخرى التى تخدم السياحة . وتطورها . وتجعل منها موردا أساسيا من موارد الدخل القومى . ولو راجعت ملفات الوزارة يا سيدى الوزير . لوقفت ببعض ماجاء فيها . ودرست ماتقدمت به الشركات الكبرى من عروض فى هذا المجال . ثم اتخذت القرار . وبدأت التنفيذ . ولابعده . لحققت وزارتك وحدها أكثر مما حققه سائر الوزارات فى مجال التنمية الاقتصادية .

ولقد شهدت بنفسى ما فعلته تونس . ورأيت بعينى عشرات الطائرات . تعود من مطار تونس الى مطارات أوروبا بركابها . لأنه لاتوجد أية أماكن خالية على شواطئها الممتدة مئات من الكيلو مترات . وقد أقيمت فى جزيرة جربة وحدها مئات الفنادق . تعلن عن آخرها بالسائحين من كل مكان . وكان ذلك بفضل استثمار أجنبى على نطاق عالمى واسع . أتى غاره فى خلال أعوام قلائل . ولدينا أكثر مما لدى تونس من وسائل جذب السياح . لدينا الآثار والسياحة العلاجية . بالاضافة الى سياحة الترفيه وقضاء الاجازات . ولكننا لم نستغل واحدا فى المائة من امكانياتنا . فهلاتك ياسيدى الوزير تستطيع أن تخطو خطوات سريعة فى هذا الطريق المرصوف بالذهب .

مرض العصر

مرض العصر الحديث فى مصر . هو هذا الاهتمام الزائد عن الحد . بكرة القدم وملابساتها ولاعبيها والمشجعين عليها . ولو كانت الأمور تسير فى الملاعب كما ينبغى أن يكون السير . لما كان هناك اعتراض ولامانع . أما أن يتحول الملعب إلى ميدان قتال . بالأيدى والأقدام والكراسى والحجارة . والألسنة القذرة التى تقذف السباب الخارج وتحمله ميكروفون الإذاعة والتليفزيون إلى الناس فى بيوتهم ونواديهم . فذلك أمر لايمكن السكوت عليه . أو التهاون فيه .

وقد تحدث الكثيرون عن هذه الظاهرة وأسبابها وطرق علاجها . ولكنى للأسف الشديد لم اقتنع بأية طريقة من طرق العلاج المقترحة . ولست أدرى لماذا يخاف الناس من الجهر بالعلاج الحاسم . وهو إلغاء هذه اللعبة . ولنبحث الجماهير عن متعة أخرى تسلى بها .

وكرة القدم لم تعد رياضة . فالمهتمون بها يعدون بالملايين . وهم لايمارسونها . بل يتفرجون عليها . أما الرياضيون أنفسهم فهم قلة تعد بالمئات . وهم لايلعبون لأنهم يحبون الرياضة . بل لأسباب عديدة أخرى . كتطلب المال أو الشهرة . وأنا أعرف أن كرة القدم كادت تكون « مؤسسة » من مؤسسات الدولة . ففيها لاعبون وإداريون وحكام ورؤساء أندية . ومعلقون ونقاد رياضيون . ورؤساهم جميعا ملايين من القراء المتعصبين . الذين يحدون فى القرعة عليا متعصا لفرائهم . وموضوعا لأحاديثهم ومجادلاتهم وبراهينهم على تفانيهم .

ولو تدبرنا الأمر . لما وجدنا من وراء كل ذلك فائدة حقيقية تذكر . لا للناس كأفراد . ولا للجماهير كأمة . وحرى للجميع أن يجدوا لهم تسلية أكثر نفعا . وأكثر أدبا وتهذيبا واحتراما للنفس والغير . ولن تنقلب الدنيا رأسا على عقب اذا توقفت هذه المباريات . وبخاصة أننا اذا عرجنا الى الميادين الدولية . أصابتنا الفرعة والعار . ولم نحقق ربحا ماديا كان أو أدبيا .

قال أن نرتق أذواق الناس . ونعلم الجماهير كيف تتفرج على المباريات فى أدب . ويتعلم اللاعبون أصول الرياضة الحقيقية . واحترام الحكام احتراما كاملا . ويكف الشاغبون عن النزول الى الملاعب وقذف المباريات بالحجارة والأقماط النابة . الى أن يتم ذلك . علينا وقف هذه المباريات جميعا . من الدورى الى الكأس . والاكتفاء باذاعة المباريات الأجنبية فى التليفزيون من حين لآخر . حتى نتعلم اللعب . ونتعلم احترام الحكام . ونتعلم أدب المشاهدة والتحمس للفريق أو للآخر .

ان كرة القدم فى مصر . لم تعد « لعبة » . بل أصبحت لعبا بالنار . وكان من الممكن أن تحدث فى بورسعيد والاسماعيلية . حوادث يسقط فيها عشرات من القتلى والجرحى . لولا أن الله سلم . ولم يكن ما حدث فى هاتين المدينتين شيئا جديدا على ملاعبنا . الى قبل وقعت أحداث مؤسفة جدا فى ملاعب أخرى . وآن لنا أن نتعظ ونأخذ بالحيطة الواجبة . وبخاصة أن المسألة كلها لعب فى لعب . لاجدوى منه على الإطلاق .